الفصل السابع

هل تبدل النكرة من المعرفة وتبينها ؟(*)

- هل الفائدة فى النكرة ، أو المعرفة ؟ فإن كانت فى واحدة منهما . فلم ذكرت الثانية ؟
- وهل يراد المعين ، أو الجنس ؟
- ولو طرحت (المبدل منه) وأبقيت (البدل) فيما دخله النفى ، هل يختل الكلام ؟

(*) سيأتى ذلك فى تفسيره لآخر سورة الفاتحة .

obeikan.com

obeikan.com

● هل تبدل النكرة من المعرفة ؟

ما الفائدة فى إبدال النكرة من المعرفة وتبيينها بها ، فإن كانت الفائدة فى النكرة ، فلم ذكرت المعرفة ؟ وإن كانت فى المعرفة فما بال ذكر النكرة ؟

(قيل) : هذا فيه نكتة بديعة وهى :

أن الحكم قد يعلق بالنكرة السابقة فتذكر ، ويكون الكلام فى معرض أمر معين من الجنس مدحًا أو ذما ، فلو اقتصر على ذكر المعرفة لاختص الحكم به، ولو ذكرت النكرة وحدها لخرج الكلام عن التعرض لذلك المعين .

فلما أريد الجنس أتى بالنكرة ووصفت إشعارًا بتعليق الحكم بالوصف .

ولما أتى بالمعرفة كان تنبيهًا على دخول ذلك المعين قطعًا .

ومثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[1] ؛ فإن الآية كما قيل نزلت فى أبى جهل ، ثم تعلق حكمها بكل من اتصف به ، فقال : ﴿ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ تعيينًا ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ ﴾ لعدمه وتنبيهًا ، ولذلك اشترط فى النكرة فى هذا الباب أن تكون منعوتة لتحصل الفائدة المذكورة وليتبين المراد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا ﴾[2] ففيه قولان :

أحدهما : أن شيئًا بدل من رزقا ، ورزقًا أبين من شيئًا ؛ لأنه أخص منه ، والأخصّ أبين من الأعم ، وجاز هذا من أجل تقدم النفى ؛ لأن النكرة إنما تفيد بالإخبار عنها بعد النفى فلما اقتضى النفى العام ذكر الاسمَ العام الذى هو أنكر النكرات ، ووقعت الفائدة به من أجل النفى . . صلح أن يكون بدلاً من رزق . ألا ترى أنك لو طرحت الاسم الأول واقتصرت على الثانى لم يكن إخلالاً بالكلام .

---

(١) العلق : ١٥ ، ١٦ (٢) النحل : ٧٣

والقول الثانى : أن شيئًا هنا مفعول المصدر الذى هو الرزق ، وتقديره : لا يملكون أن يرزقوا شيئًا .

وهذا قول الأكثرين إلا أنه يرد عليهم أن الرزق هنا اسم لا مصدر ؛ لأنه بوزن الذِّبح والطِّحن للمذبوح والمطحون ، ولو أريد المصدر لجاء بالفتح ، نحو قول الشاعر يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله وعفا عنه :

واقصـــــد إلى الخير ولا توقه وارزق عيال المسلمين رَزْقه (١)

وقد يجاب عن هذا : بأن الرزق من المصادر التى جاءت على فِعل بكسر أوائلها : كالفسق ويطلق على المصدر والاسم بلفظ واحد : كالنِّسخ للمصدر والمنسوخ وبابه وهذا أحسن .

والبيت لا نسلم أن راءه مفتوحة ، وإنما هى مكسورة ، وهذا اللائق بحال عمر بن عبد العزيز والشاعر ؛ فإنه طلب منه أن يرزق عيال المسلمين رِزق الله الذى هو المال المرزوق ، لا أنه يرزقهم كرزق الله الذى هو المصدر . هذا مما لا يخاطب به أحد ولا يقصده عاقل ، والله أعلم .

* * *

(١) الضمير فيه يرجع إلى ما سبق فى الأبيات وهو عمر الفاروق فيزول الإشكال وليرجع إلى القصيدة فى « الكامل » : للمبرد .